من الخلاص إلى التمكين: ملاحظات أوروبية على الدين الأمريكي

جان بريمر [*]

ترجمة: عبد الرحمن أبو ذكري [**]

أين يا تُرى يُمكن لأستاذ هولندي في الدراسات الدينية مثلي، دراسة الدين الأمريكي خير من مدينة لوس أنجِلُس؟[٢] قد يبدو خياري مُفاجئًا، بالنظر لصورة نمط حياة هوليود وكاليفورنيا بوصفه نمطًا مفارقًا للتديُّن. فإنه إضافة لكون لوس أنجِلُس مسقط رأس الحركة «الخمسينية Pentecostalism»[٣] في عام ١٩٠٦م، والتي تزعُم أنها أسرع الطوائِف المسيحية نموًا في الوقت الحالي؛ فإن المدينة هي مقر أكبر أبرشية للكنيسة الكاثوليكية، وقبلة الهندوكية الأولى في البلاد، وموئِل ثاني أكبر كنيس للمورمون في الولايات المتحدة، وموطن ثالث أكبر جالية يهودية وأشد الكتل السكانية البوذية تنوعًا في العالم. وأخيرًا، فقد كان المعهد الإنجيلي (Bible Institute) في لوس أنجِلُس هو الذي نشر كتاب «الأصول The Fundamentals»[٤] عام ١٩٠٩م، والذي

(*) أستاذ تاريخ الأديان العام وعلم الأديان المقارَن في جامعة خرونينغن، هولندا. ومن بين مؤلفاته كتاب عن الحياة الآخرة (٢٠٠١م). (المعرِّب).

(**) كاتب ومترجم، مصر. البريد الإلكتروني:
aabouzekry@gmail.com

(٢) هذه المقالة قسم مزيد ومنقح من محاضرة افتتاحية ألقيتها في الخامس من أكتوبر ٢٠٠٦م.

(٣) هي حركة إحياء داخل المذهب البروتستنتي. (المعرِّب)

(٤) هو كتاب يضُم تسعين مقالة دبَّجها أربع وستون كاتبًا يُمثِّلون جمهرة الطوائف البروتستنتية، وذلك لتوثيق وترسيخ المعتقدات البروتستنتية المحافظة، والدفاع عن هذه المعتقدات بوجه الهجمة التي تعرَّضت لها. ويُعتبر الكتاب الذي نُشر في اثني عشر مجلدًا هو أساس الأصولية المسيحية الحديثة. (المعرِّب)

كان دفاعه عن التأويل التقليدي المحافِظ للإنجيل هو الذي مهَّد الطريق لظهور اصطلاح «الأصولية Fundamentalism». ويتفق المؤرخون اليوم عمومًا على «السردية الكبرى» للدين الأمريكي؛ إذ تشكَّل بالدرجة الأولى على يد كنائس التيار الغالب البروتستنتية، والتي لا تكترِث للشعائر والطقوس الدينية («المعمدانية Baptist»، و«الأبرشانية Congregationalist»، و«الميثودية Methodist»، و«المشيخية Presbyterian»).[1] فقد قلَّصت هذه الكنائس النقاشات الدوغمائية، وأفسحت المجال للمبادرة والمساواة وأخلاقيات معادية للفكر والنظر عادةً ما تلائم أكثر الجمهور الأمريكي[2]. إضافة إلى أن هذه الكنائس ساهمت كذلك في شيوع هوس «اصطفاء» الولايات المتحدة، وروَّجت فكرة اضطلاع أمريكا بـ«مهمة لصالح الإنسانية»، واستوعبت المجتمع الاستهلاكي، وكانت مسئولة عن التشابُك الحميم بين الدين والوطنية. وقد هيمنت كنائس هذا التيار البروتستنتية على المشهد الديني في أمريكا قبل تدفُّق المهاجرين اليهود والكاثوليك من أيرلندا وإيطاليا وبولندا وأمريكا اللاتينية منتصف القرن التاسع عشر، وإلى اليوم؛ فما زالت هذه الكنائس تؤلِّف الأكثرية الدينية. وتعلمنا التجربة أن الثقافة المهيمِنة تمارِس تأثيرها دومًا على الأقليات السكانية، ولا يختلف الأمر كثيرًا في المجال الديني.

فما هي إذن الحالة الراهنة للدين الأمريكي المعاصر؟

يُمكن أن أقول بداية، وببساطة شديدة إن الدين جزء شديد الأهمية من الحياة والثقافة الأمريكيتين، مع حصر تناولي في هذه الصفحات لبعض المظاهر التي أثارت دهشتي واهتمامي بشكلٍ خاص خلال إقامتي في الولايات المتحدة بين سبتمبر ٢٠٠٦ ويونيو ٢٠٠٧م. وقد أظهر آخر مسح للدين الأمريكي أن حوالي تسعين بالمئة من الأمريكيين ما زالوا

(١) للمزيد عن التأريخ للكنائس الأمريكية؛ راجع:

- Michael Hochgeschwender, **Religion, nationale Mytologie and nationale Identitat: Zu den methodischen und inhaltlichen Datten in der amerikanischen ‹New Religious History›**, Historisches Jahrbuch; 124; (2004).
- Jon Butler, **Jack-in-the-Box Faith: The Religion Problem in Modern American History,** Journal of American History, 90; (2004).

(2) Mark Noll, **Between Faith and Criticism: Evangelicals, Scholarship, and the Bible in America,** (Grand Rapids, MI: Baker Book House, 1991),p p: 99-121.

يدَّعون انتماءً ذا طبيعة دينية، وهي النسبة التي ظلَّت ثابتة نسبيًا خلال الخمسين عامًا الماضية.[1] وهذه النسبة مُذهلة إذا ما قورِنَت بأوروبا، حيث سنجد أن آفاق الممارسة الدينية في تراجُع، مع تدهورٍ للمشاركة المنتظمة في الشعائِر إلى ما دون الخمسين بالمئة، وذلك باستثناء أيرلندا وبولندا؛ مع احتفاظ حوالي خمسة وعشرين بالمئة فحسب بإيمانهم في إله شخصي.[٢]

وفي هذا الصدد، فلا يبدو أن شيئًا قد تغيَّر منذ لاحظ دوتوكفيل أن أمريكا «ما زالت هي أكثر موضع على ظهر البسيطة يحتفظ فيه الدين المسيحي بسلطانٍ حقيقي على الأرواح».[٣] فما الذي يُفسِّر هذا الاختلاف المذهِل عن أوروبا؟ ولِمَ لَم تجتَح الولايات المتحدة موجة العلمنة التي جرفت أوروبا؟ ربما كان أحد أسباب ذلك هو المنافسة الشديدة بين الكنائس الأمريكية لوقتٍ طويل. إذ بينما تحظى كل دولةٍ في أوروبا بكنيسةٍ واحدةٍ مُستقرة راسخة، مثل الكنيسة الأنجليكانية في بريطانيا العظمى واللوثرية في البلدان الاسكندنافية والكنيسة الرومانية الكاثوليكية في إسبانيا وإيطاليا؛ كان على الكنائس الأمريكية أن تتنافس مع بعضها البعض، وهو اقتتال أبقاها جميعًا شديدة التحفُّز ودائمة الاستعداد.[٤] ومن «كنائس السيارات Drive-in Churches»،[٥] التي دُشِّنَت إبان خمسينيات القرن

(1) **American Piety in the 21st Century**, a 74-page survey published online by the Baylor Institute for Studies of Religion, September 2006, http://www.baylor.edu/content/services/document.php/33304.pdf

(٢) بالإنجليزية «برسونال غود Personal God»، وهو إله يُمكن الإشارة إليه والنقل عنه والانتساب إليه بوصفه «شخصًا» مُتعينًا، وليس مُطلقًا كُليًا غير شخصي. وتعتبر السردية الغربية أن إله ما تُسميه بالأديان الإبراهيمية ينتمي لهذا النوع؛ فهو يتحدث بلسانه إلى البشر ويُظهر صفاتٍ ومشاعر «تُشبه» ما يحوز بنو آدم، ومن ثم يُمكن التعامل معه بوصفه شخصًا كما في صورة «الأب» في الأقانيم المسيحية أو صورة «الولي» عند المسلمين الصوفية. وقد أظهرت دراسة أجريت في الولايات المتحدة أن حوالي ٧٠٪ من الأمريكيين يعتقدون أن الإله هو «شخص» يُمكن أن يبنوا علاقة معه، في حين يعتقد ربعهم فقط أن الإله هو قوى غيبية مطلقة لا شخصية ولا يُمكن إدراكها. (المعرِّب)

(3) Alexis de Tocqueville, **Democracy in America**, eds. And trans. Harvey C. Mansfield and Delba Winthorp (Chicago; Univ. of Chicago Press, 2000), 278.

(٤) نال هذا الجانب عناية كافية (إن لم يكن مبالغًا فيها) في:
- Roger Finke and Rodney Stark, **The Churching of America,** 1776-2005: Winners and Losers in Our Religious Economy (New Brunswick, NJ: Rutgers Univ. Press, 2005).

(٥) تخيرنا لها اسم «كنائس السيارات» على غرار «سينما السيارات». فإذا كان المشاهِد في الثانية يختار مشاهدة الفيلم وهو قابع داخل سيارته، فإنه يستمع للعظة الكنسية ويؤدي الشعائر على المنوال نفسه، وهو في سيارته. (المعرِّب)

العشرين؛ إلى البث التلفزيوني و«الكنائس المسرحية الضخمة Megachurches»[1] التي تهيمن على المشهد الديني اليوم، كانت الكنائس الأمريكية حريصة على استيراد أفضل تقنيات التسويق الشائعة في المجال الدنيوي/العلماني.[2] وفي واقع الأمر، فإن عدد الكنائس المسرحية الضخمة قد تضاعَف في الأعوام الخمسة الأخيرة، وبعض أشهر هذه الكنائس مقرها كاليفورنيا (أعني «كاتدرائية كريستال Crystal Cathedral»، و«كنيسة شعب وادي سادلباك Saddleback Valley Community Church» وكلاهما في مقاطعة أورانج). هذا النمو المبهِر للكنائس المسرحية هو واحد من أشد الظواهِر إثارة للاهتمام في العقد الأخير، وقد مثَّل نفوذًا مؤثرًا على الممارسات العبادية للكنائس الأخرى.[3] ذلك أن

وفي واقع الأمر، فإن عدد الكنائس المسرحية الضخمة قد تضاعَف في الأعوام الخمسة الأخيرة، وبعض أشهر هذه الكنائس مقرها كاليفورنيا (أعني «كاتدرائية كريستال Crystal Cathedral»، و«كنيسة شعب وادي سادلباك Saddleback Valley Community Church» وكلاهما في مقاطعة أورانج).

المتلقي الذي اعتاد تفنُّن وسائل الإعلام الجماهيرية الحديثة لم يعُد راغبًا بنمط الشعيرة العتيق الطراز في أيام الأحاد، بل صار يُريد شيئًا يُعوِّض ما يتكبَّده من مال (Value for money)، وهو ما يحصُل عليه في الكنائس المسرحية. إذ ليست الموسيقى فقط هي الحديثة والمواكِبة للعصر، ولا جماهير المصلّين أنشط مشاركة فحسب في الطقوس من الكنائس التقليدية؛ بل ثم مجال أرحب كثيرًا للابتداع عما عليه الحال في أبرشية كنيسة سانت ماثيو الأسقفية التي أنتمي إليها في «باسيفيك بالاسيدس Pacific Palisades»، لوس أنجِلُس. وعلى سبيل المثال، ففي كنيسة «نيو لايف New Life» بكولورادو، والتي

(١) يُترجم اسم الكنائس حرفيًا إلى «الكنائس هائلة الحجم»، ولكننا فضَّلنا إضافة «المسرحية» لتمييزها عن غيرها من الكنائس والكاتدرائيات التقليدية الضخمة الحجم. فهذه الكنائس المليغا تمتاز بتركيبها بوصفها مسرحًا ضخمًا وإن كانت «مُدرجاتها» أشبه بـ«استادٍ» رياضي! (المعرِّب)

(٢) راجع الدراسة البديعة:

- R. Laurence Moore, Selling God: **American Religion in the Marketplace of Culture,** (New York: Oxford Univ. Press, 1994).

(3) Jane Lampman, **"Megachurches› Way of Worship is on the Rise",** Christian Science Monitor, February 6, 2006.

دشَّنها القس المشلوح تِد هاغارد؛ فإن حرم الكنيسة يتحوَّل في كل فِصح إلى مسرحٍ لعرض درامي باذخ يُجسِّد آلام المسيح ومعاناته، يُشارِك فيه المئات، وحيوانات حية، ولاعبو أكروبات على طراز «سيرك دوسولاي Cirque du Soliel» يجسِّدون الملائكة، ومؤثرات خاصة جديرةٌ بمسارِح برودواي.[١] وهذا يتناقض بوضوح مع الأداء النمطي الموحَّد والقاتِم لطقوس الأحد في أبرشيتي، رغم شدة روعة رجال الإكليروس والموسيقى في الأبرشية.

وحقيقة كون هاغارد قد ألقى عِظتَهُ الأولى في قبوٍ غير تام البناء تحمل إلى دائرة الضوء عنصر تأثير مميز آخر ذي حضور في الكنائس الأمريكية: ثقافة ريادة الأعمال المهيمنة في الولايات المتحدة. فبينما يتزايَد تحوّل الكنائس في أوروبا إلى متاجر، فإن المتاجر الأمريكية تتحوَّل إلى كنائس مُثقلة بروح التجارة (Storefront Churches).[٢]

وليس من قبيل المصادفة أن قساوِسة هذه الكنائس المسرحية الضخمة عادةً ما يبدؤون في محيطٍ صغير محدود، ثم يشقون طريقهم إلى حشد كُتلٍ كبيرة من المصلين بفضل جاذبيتهم الجماهيرية. وراقِب قساوسة أمثال ريك وارين من كنيسة سادلباك، الذي باع كتابه «الحياة الغائية The Purpose Driven Life» الصادر في ٢٠٠٢م أكثر من ثلاثة عشر مليون نسخة؛ وروبرت شولر راعي كاتدرائية كريستال المذهلة، والذي يُمكن مشاهدة برنامجه التلفزيوني «ساعة من القوة Hour of Power» حتى في هولندا.[٣]

إضافة إلى ذلك، فإن هذه الكنائس المسرحية عادة ما ترعى مجموعات صغيرة حتى تُعوِّض النقص في حجم قُداس الأحد. حقيقة الأمر، فإن التجمع في مجموعات صغيرة هي ظاهرة متنامية في الثقافة والدين الأمريكيين، بما يتجاوَز الطوائف

(1) Stephanie Simon, **"Church Ousts Pastor for 'Immortal' Acts"**, Los Angeles Times, November 5, 2006, A13.

(٢) ولمثال يوضِّح كذلك سبب بروز الحركة الخمسينية؛ راجع:
- David Gonzalez, **"A Silver of a Storefront, a Faith on the Rise"**, New York Times, January 14, 2007.

(٣) للمزيد عن وارين وسادلباك؛ راجع:
- Jeffery L. Sheler, **Believers: A Journey into Evangelical America,** (New York: Viking, 2006), 114-41.
أما عن شولر؛ فيمكنك الرجوع إلى:
- Ferenc M. Szaz, **Religion in the Modern American West,** (Tuscon: Univ. of Arizona Press, 2000), 185-91.

والأديان المستقِلة.[1] وفي أبرشيتي؛ فإن مجموعات أبرشية صغيرة تُولي عنايتها لليوغا والقيم المسيحية والازدهار الروحي وقراءة الكتب الروحية، من بين الأنشطة العديدة التي تمارسها. وفي الوقت نفسه، فإن هذه المجموعات تخلق رفقة حميمة في عالمٍ تسوده البرودة في العادة. وبطبيعة الحال، فإن الكنائس الكبيرة (ومجموعاتها الصغيرة) يجب أن تجد أرضية مُشتركة لتظل مؤتلفة. وفي هذا الصدد، فإن الترابُط يتيسَّر بحقيقة تآكل الحدود بين الطوائف بدرجة كبيرة، وتقلُّص الميل إلى إطلاق الأحكام، وتلاشي الأهمية المرتبطة بالعقيدة والدوغما تدريجيًا، إن لم يكُن بسرعة؛ خلال العقود القليلة المنقضية.[2] وعلى المنوال نفسه، فليس من الميسور

(1) Alan Wolfe, **The Transformation of American Religion: How We Actually Live Our Faith,** (New York: Free Press, 2003); Robert Wuthnow, All in Sync: How Music and Art Are Revitalizing American Religion (Berkely: Univ. Of California Press, 2003), 114-22; see also the national survey on small groups conducted by Barna Research: www.barna.org (accessed in July 11, 2007).

(2) Amanda Potterfield, **The Transformation of American Religion: The Story of a Late-Twentieth-Century Awakening,** (Oxford: Oxford Univ. Press, 2001).

وبطبيعة الحال، فإن الكنائس الكبيرة (ومجموعاتها الصغيرة) يجب أن تجد أرضية مُشتركة لتظل مؤتلفة. وفي هذا الصدد، فإن الترابُط يتيسَّر بحقيقة تآكل الحدود بين الطوائف بدرجة كبيرة، وتقلُّص الميل إلى إطلاق الأحكام، وتلاشي الأهمية المرتبطة بالعقيدة والدوغما تدريجيًا، إن لم يكُن بسرعة؛ خلال العقود القليلة المنقضية.

بحال رؤية كيف ينسجم هذا التطور مع اتجاهٍ آخر في الدين الأمريكي: التوكيد المتنامي على كون الإنجيل كلمة الرب. ففي اليونان القديمة، على سبيل المثال؛ لم تلعب الكتب دورًا في التيار الرئيس للدين، وإنما اقتصر دورها فقط على تثقيف مجموعات هامشية مثل «الأورفيكيون Orphics».[٣] وهو وضعٌ ينسحِب باطراد على كل الدين القديم، لكنه تغيَّر بعد تدمير هيكل القدس عام ٧٠م، حين صار نص التوراة مُقدسًا مثله في ذلك مثل الإنجيل العبري الذي

(٣) هم من يدينون بديانة ظهرت قديمًا في العالم الهيللنستي، وتنسب لأورفيوس (Orpheus)؛ الموسيقي والشاعر و«النبي» الإغريقي. (المعرِّب)

صار كتابًا مقدسًا. وبعدها ببرهة قصيرة، أدت شعبية المسيحيين في فارس إلى لجوء الزرداشت لتدوين نصوص كتابهم المقدس: «الأفيستا Avesta».[1] وتتجلى أهمية الإنجيل -ككتاب مقدَّس- في الثقافة الأمريكية المعاصرة في حقيقة أن حوالي نصف الأمريكيين يعُدّون أنفسهم «مؤمنين بالإنجيل».[2] إلا أنه في القرن العشرين فحسب، ومع صعود الأصولية؛ نشهد التوكيد المتنامي على المعنى الحرفي للنصوص الإنجيلية في البلاد.[3]

صحيح أن جذور هذا التوكيد يُمكن تتبُّعها إلى عصر الإصلاح الديني، وأن مثل هذا التأويل قد تجلى للعيان في إنكلترا للمرة الأولى فقط بعد ١٦٣٠-١٦٥٠م؛ حين صُكَّت عبارات وألفاظ «النزوع نحو الحرفية Literalism»، و«الشخص الحرفيLiteralist»، و«التفسير الحرفي Literality»، و«الحرفية Literalness».[4]

ومزايا مثل هذه المقاربة جد واضحة: فهي لا تتطلَّب جهدًا فكريًا، وتسد الحاجة إلى اليقين في عالمٍ مُتقلِّبٍ مُلتبِس، وهي تنسجِم مع مثال «الاكتفاء بالذات Self-relience»[5] الذي يُجسِّد الثقافة الأمريكية نماذجيًا.

(1) A. S. van der Woude, **"Pluriformity and Uniformity: Reflections on the Transmission of the Text of the Old Testament"** in Jan Bremmer and Florentino Garcia Martinez, eds., Scared History and Sacred Texts in Early Judaism (Kampen, The Netherlands: Kok Pharos, 1992), 151-69 (on Torah); Jan N. Bremmer, The Rise and Fall of the Afterlife: The 1995 Read-Tuckwell Lectures at the University of Bristol (London: Routledge, 2002), 50 (on Avesta); Guy Stroumsa, La Fin du Sacrifice. Les mutations religieuses de l›Antiquite tradive (Paris: O. Jacob, 2005), 63-101 (on Torah, Bible).

(2) **American Piety in the 21st Century,** op cit, 15, note 4.

(٣) لدراسات أنثروبولوجية حديثة عن العقلية الحرفية للأصولية؛ راجع:

- Susan Harding, **The Book of Jerry Falwell: Fundamentalist Language and Politics, (Princeton, NJ: Princeton Univ. Press, 2000).**
- Vincent Crapanzano, **Serving the Word: Literalism in America from the Pulpit to the Bench,** (New York: New Press, 2000).

(4) Peter Burke, **"The Rise of Literal-Mindedness (An Essay)",** Common Knowledge 2 (1993): 108-21.

(٥) تعني حرفيًا: اعتماد الإنسان على قدراته وجهوده دون غيرها، بحسب معجم مريام وبستر الأمريكي. لكنها في هذا السياق تُعبِّر عن فلسفة خاصة بالوجدان الأمريكي، فلسفة صدرت عن رؤيته البيوريتانية وجسَّدها وقعَّد لها مقال نُشر عام ١٨٤١م بالعنوان نفسه، للفيلسوف الترانسندنتالي الأمريكي الأشهر رالف والدو إمرسون. وجوهر هذه الفلسفة هو احتقار الانسجام مع الآخرين والتماهي الكاذب مع ما يتصورونه، واتباع كل إنسان لغرائزه وأفكاره مُكتفيًا بها. وتعتبر فلسفة إمرسون ومدرسته الترانسندنتالية/الرومانتيكية (هنري ديفيد ثورو ووالت ويتمان وإميلي دكنسون إلخ) أحد المصادر التأسيسية لتشكل الوجدان الأمريكي، جنبًا إلى جنب مع الأيديولوجية البيوريتانية البروتستنتية والفلسفة البراغماتية. (المعرِّب)

إذ ربما أمكن وصف «الروح» الأمريكية بأنها تنافُسية، وابتكارية، ونزَّاعة للتجارة، إلا أن ثمة عنصرًا من الروحانية بالتأكيد في هذه الممارسات. إلا أن التركيز على الاستغناء الفردي بالذات، والبحث عن الروحانية، والعلاقة المتناغمة مع الطبيعة[1] -وهي الصفات التي عادةً ما نربط بينها وبين روحانية «العصر الجديد»[2] (New Age) [3] لم تعُد تتوقَّف عند أبواب المؤسسة الدينية والكنائس.

ومؤخرًا شهِدنا مثالًا جيدًا على ذلك، إذ إن حتى الأيقونة الإعلامية أوبرا وينفري تعرِف كيف تخلِط بحنكة بين الروحانية والأيديولوجية الرأسمالية، سواء في برنامجها الحواري أو في المجلة التي تُصدرها (O, The Oprah magazine).[4] وبما أن بعض النقاد الموثوقين يستخدمون اصطلاح «لاهوت الرفاه Prosperity Theology» في السياقات التي تتناول القساوسة الذي يُبشِّرون بالمسيحية بوصفها الطريق إلى الصحة والثروة والنجاح المادي؛ فيُمكن لنا استخدام اصطلاح «روحانية الرفاه Prosperity Spirituality» لتوصيف رسالة أوبرا وينفري الإعلامية.[5] إلا أن الانشغال بالشق المادي في الروحانية الحديثة سيجعلنا نذهل عن تطورات أخرى، ربما كانت أكثر إثارة للاهتمام.

ومؤخرًا أكد أحد أفضل الخبراء في الدين الأمريكي المعاصر، روبرت وذناو؛ على الصلة بين الروحانية والموسيقى والفنون البصرية. إن «ضوضاء» فناني ما بعد الحداثة أحيانًا تجرِف فن

---

(١) يُمكن تتبُّع هذه العناصر في كتابات كل المدارس الرومانتيكية، وعند الترانسندنتاليين (الرومانتيكية الأمريكية) وخصوصًا هنري ديفيد ثورو في كتابه الأشهر وولدن. (المعرِّب)

(٢) هي حركة غنوصية تطوي مجموعة من الممارسات والمعتقدات الدينية والروحية التي تطوَّرت في الغرب -خصوصًا الأنغلوسكسوني- إبان سبعينيات القرن العشرين، وقد أثمرت إعادة إحياء أكثر شعائر وطقوس الوثنيات الغربية ما قبل المسيحية. وقد ظهرت للعيان نتيجة لاختلاط المؤثرات الروحانية البوذية والهندوكية التي اجتلبها الهيبيز في ذلك الوقت مع تيار شغف بالنجوم وقراءة الطالع ظل كامنًا منذ القرن الثامن عشر. ويمكن اعتبارها الاطراد الطبيعي لحركات الثقافة المضادة (Counterculture movements)، التي ظهرت في ستينيات القرن العشرين. (المعرِّب)

(3) Leigh E. Schmidt, Restless Souls: The Making of American Spirituality (San Francisco: Harper San Francisco, 2005).

(4) Kathryn Lofton, **"Practicing Oprah; or, The Prescriptive Compulsion of a Spiritual Capitalism"**, Journal of Popular Culture 39 (2006): 599-621; see also Eugene Robinson, "The Church of Oprah", Washington Post, May 10, 2005, A21.

(٥) ويُشبهها في ذلك جُلّ المسمين بـ «الدُعاة الجُدد» بين ظهرانينا. (المعرِّب)

الطوائف الدينية وبناياتهم، والتي تضم منحوتات مذابح الكنائس والتماثيل والمنابر المزخرفة والمفروشات والمنسوجات المزينة (فكر في الأمثلة البديعة في «كاتدرائية سيدة الملائكة Our Lady of Angels»، في مدينة لوس أنجِلُس)، والنوافِذ الزجاجية الملونة، إضافة إلى عمارة المعابد والكنائس والمساجد المدهشة بذاتها في بعض الأحيان.[1]

وقد حلَّ الفن عادة محل الدين في صفوف النخبة الأوروبية المثقفة. وهذا الإحلال نماذجي مناسب لسياق تطور العالم الغربي فيما بعد عصر الاستنارة، ولا يمكن الوقوف على تجلياته في أي بقعة أخرى خارج أوروبا.[2] إلا أنه في الولايات المتحدة، يتم دمج الفن في نسيج الروحانية بصورة متزايدة، سواء داخل أو خارج الكنائس.

وقد أدى تكرر زيارات الأطفال والتلاميذ الصغار للمتاحف إلى جعلهم قابلين للتجليات المختلفة للفن، فإذا ما شبوا عن الطوق صار بوسعهم أن يُفسِحوا مكانًا في حياتهم الروحانية لتجاربهم الفنية.[3] وهذا الاتجاه نفسه هو الذي قد يُسهِم في تفسير النجاح العظيم والمستحَق لمعرض «أيقونات من سيناء»، الذي عقده متحف

وقد حلَّ الفن عادة محل الدين في صفوف النخبة الأوروبية المثقفة. وهذا الإحلال نماذجي مناسب لسياق تطور العالم الغربي فيما بعد عصر الاستنارة، ولا يمكن الوقوف على تجلياته في أي بقعة أخرى خارج أوروبا.

«جيه. بول جيتي J. Paul Getty» مؤخرًا، والذي اجتذب أكثر من ٢٣٠ ألف زائر في ستة عشر أسبوعًا فحسب. هذه الأيقونات البيزنطية، بأصولها العتيقة وقداستها المفترَضة؛ انتقلت من صحراء مصر البعيدة إلى متحف فائق التحضُّر في لوس أنجِلُس. وهي بوضوح تتوافَق مع الحاجة الحديثة للتأمُّل وللخبرات العاطفية

(1) David Morgan and Sally M. Promey, eds., **The Visual Culture of American Religions,** (Berkely: Univ. of California Press, 2001).

(2) Alfred Gell, **Art and Agency: An Anthropological Theory,**(Oxford: Clarendon, 1998), p: 97.

(3) Wuthnow, **All in Sync,** op cit, note 12.

المؤثـرة؛ سـواء كان الزائـر متدينًـا أم لا. وصحيـح أن المشـتغلين بالأنثروبولجيـا الاجتماعيـة قـد لاحظـوا أن التجربـة الروحيـة، بتوكيدهـا الشـامل عـلى الصـلاة/الدعـاء (وهـي ممارسـة يبـدو أنهـا أكـثر أهميـة في الولايـات المتحـدة منهـا في أوروبـا)؛ تصـير حيويـة بصـورة متزايـدة.

فالجماهـير «تقـع في غـرام يسـوع»، وهـم يريـدون أن يصـير الـرب «وليًـا» حميـمًا. فهـو حـاضر أبـدًا لمعونتهـم، ويمكـن سـؤاله النُصـح والتأييـد. وبعبـارة أخـرى؛ فـإن التمكيـن وليـس الخلـاص هـو مـا تتزايـد أهميتـه.

ويبـدو هـذا التطـور كـما لـو كان يزيـد مـن اتسـاع هـوة الانقسـامات الدينيـة، إذ نجـده كذلـك في الحـركات اليهوديـة الحسـيدية وحـركات العـصر الجديـد.[1] ذلـك أن الحاجـة للتمكـين الـذاتي جـد ملائمـة للمجتمـع الأمريـكي، والـذي يتزايـد فيـه عـدد المواطنـين الذيـن يعيشـون فُـرادى بصـورة غـير مسـبوقة، ويضمَحِـل فيـه رأس المـال الاجتماعـي، كـما يحتـج روبـرت بوتنـام في كتابـه الشـهير.[2] بهـذه «الانعطافـة التجريبيـة» أصـل لختـم مشـاهداتي. إذ يبـدو أن الديـن الأمريـكي يتحـرك في اتجـاه أكـثر فردانيـة مُسـتقبِلًا «مجتمعـات مُتشـظية»[٣] تعكـس اتجاهات داخـل المجتمـع الأمريـكي بجملتـه. وكلـما طـال أمـد وجـود الكنائـس والتجمُّعـات الدينيـة المختلفـة في الولايـات المتحـدة؛ تزايـد اسـتيعابها في التيـار الرئيـس للثقافـة (الديـن) الأمريـكي. لـذا، فـإن التطـورات التـي تناولتهـا بالعـرض هـي قطـاع عـرضي يمُـر خـلال الأديـان والطوائـف المختلفـة.

ومـا مـن مـكان يمكـن لنـا أن نتوقـع فيـه عـودة إلى الممارسـات التـي هيمنـت خـلال القـرن التاسـع عـشر وبواكـير القـرن العشريـن. لكـن الوقـوف عـلى التـوازُن الصحيـح بـين الفردانية والمشـاركة الفعالة في المجتمـع العريـض سـتظل تحديًا لنـا جميعًا.

---

(1) Tanya Luhrmann, **"Metakinesis: How God Becomes Intimate in Contrmporary U.S, Christianity"**, American Anthropolgist 106 (2004): 518-28.

(2) Robert Putnam, **Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community,** (New York: Simon & Schuster, 2001); and Robert Putnam, ed., Democracies in Flux: The Evolution of Social Capital in Contemporary Society (New York: Oxford University Press, 2002).

(٣) اسـتخدم المؤلـف في الأصـل عبـارة «Communities Lite»، وحـين سـألته عـما قصـد بهـا عـلى وجـه التحديـد؛ قـال هـي المجتمعـات التـي تفتقِـدُ للتجانُـس ولا يعـرف أفرادهـا بعضهـم البعـض إلا بشـكلٍ سـطحي عابِـر. (المعرِّب)